أثر الاقتباس القرآني في ديوان حروب الرّدّة

The effect of the Qur’anic citation in the Divan Wars on Apostasy

زهراء اياد عوده الراضي

Zahra Eyad Awda Al – Radi

أ.م.د حـازم عـلاوي عـبيـد الغـانـمـي

Assistant Professor Dr Hazem Allawi Obeid Al – Ghanami

كلية العلوم الاسلامية – جامعة كربلاء

University of Karbala - Faculty of Islamic Sciences

الكلمات المفتاحية: اقتباس القرآني، حروب الردة، الاقتباس المباشر، الاقتباس المحور.

key words: Qur'anic citation, wars of apostasy, direct citation, adaption citation.

الملخص

اقتضت طبيعة دراسة هذا البحث أن أتناول فيه الاقتباس القرآني لدى شعراء حروب الردة، ومن أنواع الاقتباس الذي ورد لديهم ؛ الاقتباس المباشر حيث اعتمدوا على التراكيب القرآنية بشكل مباشر دون أي تحوير، والاقتباس المحور وفيه تظهر شخصية الشاعر من خلال تحويره للنص القرآني بالزيادة أو النقصان وهذا النوع من الاقتباس قد ورد بكثرة لديهم، فضلاً عن اقتباس المفردة حيث يعمد الشاعر إلى اقتباس لفظة قرآنية واحدة ويُضمنها في شعره وذلك لعلم المتلقي بما يقصده الشاعر من خلال ما يمتلكه من الثقافة القرآنية، وقد أسهم استعمال الشعراء لهذا الاقتباس القرآني في أشعارهم في بيان تمسكهم بالدين الإسلامي وهداية المرتدين .

Abstract

The nature of the study of this research requires that I address the Quranic citation to the poets of the wars of apostasy and the types of citation that they received the direct citation where they relied on the Quranic structures directly without any modification، and the central citation in which the character of the poet is shown through his adaptation of the Quranic text to increase or decrease، The quote has been received frequently As well ، as a single quote where the poet to quote a single Quranic word and ensure it in his poetry and the recipient's knowledge of what the poet means through his own culture of the Koran، has contributed to the use of poets to quote the Koran in their poems to show their adherence to the Islamic religion and guidance of apostates.

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آلهِ وصحبه الطاهرين .

أمَّا بعد :

يُعد القرآن الكريم المصدر الأساس لكل الدراسات العلمية، حيث أفاد شعراء حروب الردة وبالأخص المسلمين من ثقافتهم القرآنية للاقتباس من آيات القرآن الكريم بصورة مباشرة أو غير مباشرة وتضمينها في أشعارهم لتثبيت أقوامهم على الإسلام وتذكيرهم بحال الأقوام السابقة،

واقتضت طبيعة الدراسة لهذا البحث التعريف بالاقتباس ثم ذكر أقسام الاقتباس الثلاثة : المقبول والمباح والمردود وبيان كل واحد منهم، وكيف أفاد شعراء حروب الردة من النوع الأول المقبول فهو ما كان في الخطب والمواعظ ومدح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم ذكر أنواع الاقتباس الوارد لدى شعراء حروب الردة ؛ وهي الاقتباس المباشر الذي يتضمن تركيب قرآني كامل، والاقتباس المحوّر فضلاً عن اقتباس المفردة إذ يكتفي الشاعر أحياناً بمفردة قرآنية واحدة في إيصال المعنى للمتلقي .

بعد هذا ذكر لأهم النتائج التي توصلتُ إليها، وتعقبها هوامش البحث ثم قائمة روافد البحث، مع ذكر ملخص باللغتين العربية والإنكليزية .

الاقتباس

يُعد الاقتباس وسيلة يستعملها الشاعر للوصول إلى غرضه، فالشاعر عندما يتعمق الإيمان في نفسه وهو في مجتمع قد ضعف الإيمان فيه يتحتم عليه نُصح الآخرين من خلال شعره، ليبين لهم أهمية الإسلام والالتزام به، ولمن ترك وتخلف عن الدين الإسلامي كذلك يبين عاقبتهم من خلال ذكره لقصص الأقوام السابقة وكيف كانت عاقبتهم بسبب تكذيبهم للرسل، فيقوم الشاعر باستعمال ألفاظ قرآنية وتراكيب وصيغ في شعره إما بصورة مباشرة أو بصورة محوّرة أو غير ذلك.

وقد ورد لدى بعض شعراء حروب الردة ذلك الأثر والاقتباس كما سنوضح في الاقتباس المباشر والمحوّر فضلاً عن اقتباس المفردة .

والاقتباس : ((هو تضمين النظم أو النثر بعض القرآن لا على أنّه منه بأن يقال فيه : قال الله أو نحوه، فإنّ ذلك حينئذٍ لا يكون اقتباساً))[1]

والاقتباس ما كان في الخطب والمواعظ وأقوال الحكمة والإرشاد يكون حسن بديع يُقوي به المتكلم كلامه داعماً فكرته ومؤيدها من خلال ما يقتبسه من القرآن الكريم أو من أقوال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)[2] .

وهناك مَن قسمه على ثلاثة أقسام : مقبول، ومباح، ومردود . فالأول ما كان في الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وغير ذلك، والثاني ما كان في الغزل والرسائل والقصص، والثالث على ضربين : أحدهما ما نسبه الله تعالى إلى نفسه، ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه، والآخر تضمين آية كريمة في معنى هزل ونعوذ بالله من ذلك[3] .

وقد أفاد شعراء حروب الردة من النوع الأول (المقبول) فالهدف من ذلك تثبيت أقوامهم على الإسلام، وقد تفاوت استعمال الشعراء لهذا الاقتباس بين المباشر والمحور والمفردة وكان واضحاً في أشعارهم كما سنوضح .

أ . الاقتباس المباشر :

وهذا النوع من أسهل الأنواع إذ يستمد الشاعر الآية من القرآن الكريم أو جزء منها دون أن يكون له تدخل أو تحوير في نقلها [4] .

وقد كان ورود هذا النوع لدى الشعراء قليلٌ جداً من ذلك قول الشاعر ثمامة بن أثال الحنفي [5]:

وقالوا : يا ثمامة لا تزدهم ... فإنَّ الأمرَ أثقلهُ الدِّماء

وإنَّهم الوضيعة فالْهُ عنهم ... فقلتُ : الله يفعلُ ما يشاء

فشمرتُ الإزار وطال رمحي ... إلى قومٍ دماؤهم الشفاء[6]

يخاطب الشاعر قومه بني حنيفة داعياً إياهم لنصرة جيش الإسلام لكنهم ما زالوا على ارتدادهم ولم يستجيبوا له، فوصفهم بالشيء الوضيع وتركهم واستعدَّ للقتال مع المسلمين، ونلحظ في البيت الثاني اقتباس الشاعر للنص القرآني اقتباساً مباشراً وهو قوله تعالى : { اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاء }[7] وهذه الآية تُمثل يقين الشاعر بقضاء الله وقدره

وهي دليل على إيمان الشاعر في عصر الردة، وهذا يدل على توجه الشعراء إلى اقتباس آيات تدل على التمسك بدين الله وقدرته ليوجهوا قلوب الناس إلى الدين وليكون حافزاً لتثبيتهم في المعارك .

وكذلك قول الشاعر زياد بن لبيد البياضي [8]:

نُقاتِلُكم في اللهِ واللهُ غالبٌ على أمرهِ حتى تُطيعوا أبا بكر [9]

يقتبس الشاعر نصاً قرآنياً بصورة مباشرة وهو قوله تعالى : { واللهُ غالبٌ عَلَى أمرهِ }[10] وقد وظفه في نُصحهِ للمرتدين من كِندة بأنهم لا يمكن أن يَغلبوا جيش المسلمين، لأنَّ النصر وعدٌ وعدَهُ الله تعالى لأنصار دينه وهو قادرٌ على كُلِّ شيء .

ومنه أيضاً قول رجل من مسلمي المدينة لم يُعرِّف به صاحب الديوان :

يا بن الوليد فَشَرِّدَنْ من خَلفَهم بهم وذا خطبٌ[11]عليكَ خفيفُ[12]

يخاطب الشاعر خالد بن الوليد بأسلوبٍ قرآني مباشر بقوله تعالى : {فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُم فِي الحَربِ فَشَرِّد بِهم مَن خَلفَهُم لَعَلَّهم يَذَّكَّرُون }[13] لكن الفرق بين الاستعمال القرآني واستعمال الشاعر للنص يَكمُن في الفعل (فشرد) جاءت في البيت الشعري (فشرِّدَنْ) بنون التوكيد، بمعنى إذا واجهت هؤلاء الناقضين للعهود والوعود فأنزِل بهم أشد العذاب ما يدخل الرعب في قلوب الآخرين ويشتت جموعهم [14]، أما في القرآن الكريم فجاء التأكيد بـ(إمَّا) بدخول (ما) التأكيد على إن الشرطية، وبهذا يصح دخول نون التوكيد على فعل الشرط (تثقفنَّهم)، والمراد بالتشريد من خلفهم ؛ أن يفعل بهم من التنكيل والتشريد ويستولي الرعب والخوف على قلوبهم فيتفرقوا، فنلحظ أنَّ التأكيد حصل في الأداة وفي فعل الشرط وبهذا خلا جواب الشرط (فشرد) من التأكيد وهذه الآية تخص المشركين ممن نقضوا العهد مع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)[15]، وبهذا وفّق الشاعر بهذا الاقتباس المباشر فهو أيضاً نقلها للمرتدين ممن تركوا الإسلام بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

وكذلك قول الشاعر عمرو بن الفُحيل الزبيدي[16]:

أسْعِديني بدمعكِ الرِّقراق [17] لفِرَاق النبي يومَ الفراق

ليتني مُتُّ يومَ ماتَ ولَم ألـ ـقَ منَ الرُّزءِ[18]ما أنا لاقِ[19]

نقل الشاعر التركيب القرآني (ليتني مُتُّ) بشكل مباشر دون الآية، وذلك لأنَّ عمق الفكرة يكمن في هذا التعبير وهو يريد أن يعبر عن هول الموقف الذي يمر به وعظمته والحزن الكبير الذي حلَّ به لفراق النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبهذه الحالة وكأني بالشاعر يطلب من عيناه أن تذرف الدموع لهول المصيبة وما شاهده من انحراف بعض القبائل نحو الردة ومن ضمنها قبيلته (قبيلة زُبيد)، وقد استمد هذا النص من قوله تعالى من سورة مريم: { قَالَت يا لَيتَنِي مُتُّ قَبلَ هَذا وكُنْتُ نَسياً مَنسِياً }[20] .

ب . الاقتباس المحور :

هو الذي تتدخل ملكة الشاعر التخيلية في الصورة القرآنية، فتقوم بزيادة أو نقصان وفق ما تستوعبه الصياغة الشعرية وما يجسده الشاعر[21].

ومما يبدو لي أنَّ هذا النوع من الاقتباس يُعد الأفضل حيث تظهر شخصية الشاعر بشكل ملحوظ، وعند تتبع شعراء حروب الردة نلحظ كيف قاموا بتحوير النص القرآني في أشعارهم عن طريق الألفاظ والمعاني، من ذلك قول الشاعر بُجير بن بَجرة الطائي[22]:

ألم تَرَ أنَّ اللهَ يوم بُزاخـة يصبُّ على الكفارِ سوطَ عذاب

كأنَّهم والخيلُ تَتْبَعُ فَلَّهُم[23] جرادٌ زهتهُ الريحُ يومَ ضباب[24]

يشير الشاعر إلى هزيمة المرتدين في يوم بُزاخَة [25]والأهوال التي لاقوها من سيوف المسلمين ورماحهم، مشبهاً إياهم بحال المشركين، فاستمد الشاعر صورة صب العذاب من قوله تعالى : { فَصَبَّ عَلَيهم رَبُّكَ سَوطَ عَذَاب }[26] فضلاً عن أنَّه وصف المرتدين الذين انهزموا أمام سيوف المسلمين بالجراد المنتشر في يوم ريحٍ عاصف وهو مقتبس من قوله تعالى : { خُشَّعاً أبصَارُهُم يَخرجُونَ مِنَ الأجدَاثِ كَأنَّهُم جَرَادٌ مُنتَشر }[27] أراد الشاعر توصيل شدة المعركة والهزيمة فأوصلها بطريقة جميلة ومؤثرة عن طريق الاقتباس، فشبه القوم المرتدين كحال الكافرين حين يخرجون من القبور فإنَّهم يخرجون فزعين يختلط بعضهم ببعض كحال الجراد لا جهة معينة له فالجراد يتلبَّد وعند طلوع الشمس ينتشر، فتشبيههم بالجراد لكثرتهم[28]، وقد أحسن الشاعر من اختياره لهذه الآية لمناسبتها مع موقف المرتدين وفرارهم من المعركة كحال الخروج من القبور.

ومنه أيضاً قول الشاعر زياد بن لبيد البياضي :

يا بني كِندة الكرام أَعِدوا واستعدُّوا لـوقعةِ الأحزابِ

قد أُمِدَّ العَدُوُّ منكم بخيلٍ وكهولٍ لحربكُم وشبابِ

وأَمِدُّوا نفوسكُم باصطبارٍ حين تلقَون جمعهم واحتسابِ[29]

يظهر في النص عدة آيات مقتبسة من القرآن الكريم وظفها الشاعر بشكل غير مباشر، وهو يحرض قومه ومَن معه من المسلمين لحرب مرتدي كِندة ومناديا إياهم للاستعداد لهذه الحرب، مُبيناً في الوقت نفسه للمسلمين أنَّ العدو قد جهز نفسه بكل ما يحتاج من خيل وعِدة ومحاربين كباراً وشباباً، وقد استمد هذا المعنى من قوله تعالى : { وَأَعِدُوا لَهُم مَا استَطعتُم مِن قوةٍ وَمِن رِبَاطِ الخَيل ... }[30] لكن في القرآن الكريم هذه الآية كانت موجهه للمسلمين لمواجهة اليهود وقيل : المنافقون، إذ أمر الله تعالى بالاستعداد وإعداد آلات الحرب وحسب ما يمتلكون من طاقة وإمكانية[31]، أما الشاعر فقد وظفها للمرتدين وبيان استعدادهم ضد المسلمين، ثم يأمر المسلمين بأن يُجهزوا أنفسهم بالصبر والاحتساب حيث قال الله تعالى : { وَاصْبِرُوا إنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِين }[32] وقوله تعالى: {حَسبُنَا الله وَنِعمَ الوكِيل }[33]، هنا نُقِلت المعاني القرآنية من السياق القرآني إلى السياق الشعري، إذ وجهها الشاعر إلى المتلقي للإفادة من ثقافته القرآنية.

وكذلك قول الشاعر ثور بن مالك الكندي[34]:

فقلتُ تحلُّوا بدين الرَّسولِ فقالوا . سفاهاً . تُرابٌ بِفيكا

فأصبحتُ أبكي على هُلكِهِم بُكاءً طويلاً وحُزناً هَلُوكا
وقلتُ لِمن عابني منهم عسى ما تُسَرُّ به أن يَسُوكا[35]

قام الشاعر في قومه يحثهم على الثبات عندما عزموا على الردة، لكنهم لم يسمعوا منه فغادرهم حزيناً لما حلَّ بهم والتحق بجند المسلمين، ووظف الشاعر الصورة القرآنية في البيت الثالث مقتبساً إياها من قوله تعالى : {كُتِبَ عَلَيكُم القِتالُ وَهو كُرْهٌ لَكُم وَعَسى أن تَكرهُوا شَيئاً وَهو خَيرٌ لَكُم وَعَسى أن تُحِبُوا شَيئاً وَهو شَرٌ لَكُم واللهُ يَعلمُ وأنتم لا تعلمون }[36] وقد وفق الشاعر بهذا الاقتباس المحوَّر الملائم مع حال قومه فالآية الكريمة موجهة للمسلمين وأعدائهم المشركين الذين خالفوا دين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، فبطبيعة الحال القتال مكروه ففيه سفكٌ للدماء ونهبٌ للأعراض ... وغير ذلك، لكن من جانب آخر فالمقصود بالقتال هو الجهاد ففيه دفعٌ للمذلة الحاصلة من غلبة الرجال واستضعافهم[37]، أما حال الشاعر فأراد أن يوضح لهم بأنَّهم بعد فرحِهِم هذا سوف يحزنون بسبب تركهم لدين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ومنه أيضاً قول الشاعر زيد الخيل الطائي:

نَجِيُّ رسولِ الله في الغارِ وحدَهُ وصاحِبُهُ الصِّديق في معظمِ الأمرِ
أُمَامةُ إنَّ القومَ عمُّوا بفِتنَةٍ تكونُ عليهم مثل راغية[38]البكر
بَنو أسدٍ من بعدِ ذُبيانَ ردَّهُم طُليحة من بعد الهداية للكفرِ[39]

يظهر الأثر القرآني لدى الشاعر في الاقتباس المحوّر من قوله تعالى :{إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَينِ إذ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَن إِنَّ اللهَ مَعَنَا }[40] أفاد الشاعر من هذا الاقتباس لبيان طاعة أبي بكر فهو قد نصر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ خرج معه إلى الغار، ويقول رسول الله لصاحبه عندما خاف أن يعلم المشركون بمكانهما فجزع من ذلك، فقال له: لا تحزن، لأنَّ الله معنا وهو ناصرنا ولن يصلوا إلينا[41]، وهنا يعلن الشاعر تمسكه بالإسلام وعدم ارتداده، ثم يذكر أن القوم أُصيبوا بفتنة الدهر أي خُدعوا بما تنبأ لهم طليحة وأخرجهم من الهداية للكفر وهذا أيضاً مقتبس من قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ كَفَروا بَعدَ إيمَانِهِم ثُمَّ ازدادُوا كُفرًا لَّن تُقْبَلَ تَوبَتُهُم وَأولَئِكَ هُم الضَّآلُّون}[42] فهم قد خرجوا من نور الإيمان إلى الكفر والضلال بسبب ردتهم واتباعهم لطليحة.

ومنه أيضاً قول الشاعر خُفاف بن نُدبة السلمي[43]:

لِمَ تَأْخُذُونَ سِلاحَهُ لِقِتالِهِ وَلِذاكُمُ عندَ الإلهِ أَثامُ
لا دينُكم ديني ولا أنا كافِرٌ حتى يزولَ إلى صَرَاةَ[44]شِمَامُ[45][46]

يُعلن الشاعر في هذه الأبيات تمسكه بدين الإسلام، وأيضاً يُوبِخ الفُجاءة[47] بعد أن ذهب إلى أبي بكر وطلب منه سلاحاً لمقاتلة المرتدين لكنه فعل العكس وخرج فقاتل به المسلمين، ويذكر الشاعر لفظة (الإله) المقصود به لفظ الجلالة (الله) الذي سوف يحاسبه على هذا الاثم الذي ارتكبه، ويلحظ الأثر القرآني البارز في قول الشاعر (لا دينكم ديني ولا أنا كافرٌ) حيث استمد هذه الصورة القرآنية من قولهِ تعالى : { وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ }[48] وبهذا فهو من المستحيل أن يُغير دينهُ وهو دين الهداية والإسلام إلا بشرط واحد وهو قوله (حتى

يزولَ إلى صَرَاة شمامُ) وصراة وشمام هما جبلان في نجد كل واحد في مكان، فأراد الشاعر من هذا أنه إذا انتقل جبل شمام من موضعه إلى جبل صراة فهو يغير دينه وهذا الأمر لا يحدث .

ج . اقتباس مفردة :

تمثل مفردات القرآن الكريم مادة خصبة يعمد مختلف الشعراء إلى تضمينها قصائدهم الشعرية، ليربو بها نحو القوة والعذوبة فهي مفردات تساعد على إضفاء جمالية لنصوصهم الشعرية، ولا يخفى على قارئ القرآن الكريم ما ضمَّته هذه المدونة العظيمة في رحابها من عيون ألفاظ العربية التي عجز أئمة البلاغة وأرباب الفصاحة عن مجاراتها والتي قد حملت دلالات رقت بها نحو السمو .

من ذلك نجد بعض شعراء حروب الردة قد رام إلى الأخذ من هذه الألفاظ ورفدها لشعرهم، ومن ذلك قول الشاعر مكنف بن زيد الخيل الطائي[49] :

سائل طُليحة يَومَ وَلَّى هارباً بِلَوى بُزَاخة والدّماءُ تَصَبَّبُ

.....

وَلَّوا فِراراً والرماح تَنُوشُهُم وبكُلِّ وَجْهٍ وُجِّهُوا نترقَّبُ[50]

يُرسم لنا الشاعر في هذه الأبيات صورة لمعركة بُزاخة التي دارت بين جيوش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد ومعهم الشاعر مكنف، وبين المرتدين من بني أسد، وفيها يسجل هزيمة بني أسد وفرار طليحة ويفخر بنصر المسلمين، فعِبرَ هذه الأبيات يطلب الشاعر بمساءلة طليحة عن هزيمته في ذلك اليوم وكيف ولَّى فاراً من أرض المعركة ولحاق المسلمين بهم ورماحهم تُصيبهم وكانت مواجهة المسلمين لهم وجهاً لوجه وترقبهم إياهم، ويُلحظ الأثر القرآني لدى الشاعر بالمفردة القرآنية (فراراً) التي اقتبسها من قوله تعالى : { إن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا}[51] فالمقصود هنا المنافقين الذين هربوا من القتال، وقد أجاد الشاعر في استعمال هذه المفردة لوصف هروب طُليحة كما فعل القرآن الكريم حين نسبها للمنافقين .

ومن صور اقتباس المفردة أيضاً قول المنذر بن النعمان اللخمي[52]:

قد كان للنُّعمانِ مُلكٌ واسِعٌ فيهِ الخُلودُ وجَارُهُ مسرورُ

هذا الذي يبقَى وذلك هالكٌ شيئان فالمحقوق والموقور[53]

مَضَى كأنَّا لم نكن في ظِلِّهِ يَوماً ولم يَكُ فيه لي قطمير[54]

يتحسر الشاعر في هذا النص على ردته عن دين الإسلام وما حلَّ به جراء ذلك، وأحسن الشاعر في حفر صورة في ذهن المتلقي رسم عبرها النعيم الذي كان يعيش تحت ظله من مُلكٍ عظيم كان به أشد فرحاً وسروراً، ولفظة (الجار) هنا استعارة دلالة على الشاعر فهو مجاوراً له، ثم ينتقل بعد ذلك إلى ما آل إليه هذا المُلك من زوال وفناء كأنه لم يكُ يوماً موجوداً كما كأنَّه لم يكن له فيه أقل ما يمكن في هذا الكون ألا وهو القطمير فهو

القشرة الدقيقة التي على النواة بين النواة والتمر[55]، فهي أبخس ما يمكن أن يمتلكه الإنسان في هذه الحياة، وقد أجاد الشاعر في استعمال المفردات القرآنية (هالك، قطمير) من النصوص القرآنية الآتية : { لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجهَهُ }[56] وقوله تعالى : { وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ }[57] فإيراد هذه المفردات ساعد على بيان زوال مُلك النعمان .

وقريب من هذا المعنى ما يتجلى لنا في قول الشاعر مُرَّان بنُ عُمير[58]:

إنَّ حَزني على الرَّسولِ طويلُ ذاك منِّي على الرَّسولِ قليلُ

.....

جَدَعَت قومي الأُنُوفَ وأجرت دمعَ عينٍ فَللجفُونِ هُمُولُ

ليس للناسِ يا أُمَامُ مِنَ الأمْـ ـرِ فتيلٌ، وأين عنك الفتيلُ[59][60]

يرثي الشاعر في هذه الأبيات لفقد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ويتأوه حُزناً وألماً على فراقه مع دعوته لقومه للثبات على دين الإسلام، ويعبر عمَّا يختلِّج في نفسه من مشاعر تجاه الخالق الحي مالك الأمر، إذ استعمل الشاعر المفردة القرآنية (فتيل) فأراد أن يبين أنَّ ما للناس من شيء في مسك زمام الأمور ولو كان بمقدار الخيط الذي في النواة، فهو باستعماله لهذه المفردة في أبياته قد ساعد على بيان ضعف القدرة الإنسانية في هذا الأمر وهو أمر وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فهذا من عظيم قدرته تعالى وبيده الأمور ﷻ، وقد ساق لنا الشاعر هذه المفردة من قوله تعالى: {وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً }[61] .

وكذلك قول الشاعر خويلد بن ربيعة العُقَيلي[62]:

تَقَحَّمَها في غَمرةِ الموتِ خالدٌ بمُعترِكٍ ضَنكٍ[63]أحَرَّ مِنَ الجَمرِ[64]

هذا البيت جزءٌ من قصيدة يحث فيها الشاعر قومه على الثبات ويخوفهم من انتقام المسلمين منهم في حال ارتدادهم، ويفخر بخالد بن الوليد ومدى شجاعته في ميدان المعركة إذ يصور لهم صورة دخوله في المعركة فقد اقتحمها اقتحاماً من غير خوف أو تردد على الرغم مما كان يُحيط بجوها من الشدة والتهويل فهي بمثابة قاع للموت، ومن هذا يتجلَّى لنا الأثر القرآني في شعر الشاعر باستعماله لمفردة (ضنك) إذ وردت في القرآن الكريم بقوله تعالى: { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا }[65]، فالمقصود مَن أعرض عن ذكر الله فإنَّهم في الآخرة في جهنم وقيل : أيضاً الضّنك في الدنيا وإن كانت واسعة تصبح ضيقة عليهم بسبب كفرهم وإعراضهم عن ذكر الله[66]، وقد أجاد الشاعر في استعماله لهذه المفردة أي عند دخوله للمعركة سوف يجعل المرتدين في أسوأ حالةٍ، وقد أكتفى بمفردة واحدة من القرآن الكريم في إيصال المعنى للمتلقي .

ومن استعمالات الشعراء الأخرى لاقتباس المفردة قول الشاعر زياد بن حنظلة التميمي[67]:

أَقَمْنَا لهُم عُرضَ الشَّمَالِ فكُبْكِبُوا كَكَبْكَبةِ الغُزَّى[68] أنَاخُوا عَلى الوَقْرِ[69] [70]

يفتخر الشاعر بانتصار المسلمين على المرتدين بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد أسهم الشاعر في توظيف الاقتباس للمفردة القرآنية (كبكبوا) ساعدت على رفد الجزالة والقوة مع قدرة إيصال المعنى المرتجى إلى ذهن القارئ وقد اقتبسه الشاعر من قوله تعالى: { فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالغَاوُون}[71] أي الآلهة وعبدتهم بُرزت لهم الجحيم وألقوا فيها، تكرير الكب وجعل التكرير في اللفظ دليل التكرير في المعنى كأنَّه إذا ألقي فيها ينكب مرةً بعد مرة حتى يستقر في قعرها[72]، لكن الشاعر وظف هذه اللفظة لوصف حال المرتدين وكيف غزوهم أي ساروا لقتالهم مرةً بعد أخرى فجاءت اللفظة مناسبة لأنَّها تدل على التكرار.

ومنه أيضاً قول أبي صُبيح السكوني[73]:

فَيَا لَهفَ نَفسي لَهفَ نفسي عَلى الذي رَمَانا بها في غَيِّ عَميَاءَ مُوبقِ[74][75]

يظهر الأثر القرآني بيناً في شعر الشاعر عِبر استعماله للفظة (مُوبق) التي اقتبسها من قوله تعالى: {وَجَعَلنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقاً }[76] يتحسر الشاعر على هذه الفتنة العظيمة التي حلَّت بمن لم يترسخ الإيمان في نفسه بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى مَن دعاهم إلى الردة والضلال وما تؤول إليه عاقبتهم من الهلاك، وعليه فقد ساعد إيراد لفظة موبق داخل سياق البيت على حفر صورة في ذهن القارئ فوفق الشاعر عبرها في بيان جزاء كل مَن تمسك بالرِّدة.

يتضح مما سبق وجود الاقتباس بأنواعه الثلاثة المباشر والمحور والمفردة لدى مجموعة من شعراء حروب الردة، ويتضح قلة الاقتباس المباشر مقارنةً بالاقتباس المحوّر واقتباس المفردة فهذه تعطي فرصة للشاعر بأن يُعبر عن الفكرة المراد توصيلها بأسلوبه، وقد أحسنوا حين استندوا في توصيل الأفكار على القرآن الكريم وذلك لما يحمله المتلقي من ثقافة قرآنية ساهمت في توصيل المعنى بوضوح وجمالية .

الخاتمة

من أهم النتائج التي توصل إليها البحث :

. الشعراء الذين تناولتهم من الشعراء المسلمين ممن يمتلكون الثقافة القرآنية لتوعية أقوامهم .

. قلة ورود الاقتباس المباشر في أشعارهم لأن الشاعر قد يكون ملتزم بنص قرآني عليه نقله دون تحوير .

. كثرة ورود الاقتباس المحور واقتباس المفردة القرآنية لدى الشعراء فهذا مما يُعطي للشاعر حرية التحوير بالنص وبما يمتلكه الشاعر من قدرته على استعمال الألفاظ والمعاني للتغيير في النص القرآني لإيصال المعنى للمتلقي بطريقة غير مباشرة .

الهوامش

(1)أنوار الربيع في أنواع البديع : 217/2 .

(2)ينظر : الكافي في البلاغة : 308 .

(3)ينظر : خزانة الأدب وغاية الأرب : 455/2 .

(4)ينظر : أثر القرآن في الشعر العربي الحديث : 119 .

(5)ثُمامة بن أُثال بن النعمان بن مَسْلَمَة بن عُبيد، اليمامي الحنفي، أسلم وخرج معتمراً، ولما ارتد أهل اليمامة عن الإسلام لم يرتد معهم وثبت على إسلامه هو ومَن اتَّبعه من قومه، ولحق بالعلاء بن الحضرمي فقاتل المرتدين من أهل البحرين، بعد أن عصوه قومه ولم يسمعوا منه ففارقهم والتحق بخالد بن الوليد ثم خرج مع العلاء بن الحضرمي . ينظر : أسد الغابة : 158، الاعلام : 100/2، الاستيعاب : 213/1 .

(6)الديوان : 17 .

(7)الحج/14 .

(8)زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر الأنصاري البياضي، يُكنى أبا عبد الله، خرج إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأقام معه بمكة حتى هاجر مع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة، وكان يُقال لزياد : مهاجري أنصاري، شهد العقبة وبدراً وأحد والخندق، واستعمله رسول الله على حضرموت، وتوفي في أول خلافة معاوية . ينظر : الاستيعاب : 533/2، الاصابة : 484/2 .

(9)الديوان : 239 .

(10)يوسف/21 .

(11)الخطب : الشأن أو الأمر . ينظر : لسان العرب : 360/1 (خطب) .

(12)الديوان : 355 .

(13)الأنفال/57 .

(14)ينظر : الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : 445/1 .

(15)ينظر : الميزان في تفسير القرآن : 115/9 .

(16)عمرو بن الفحيل الزبيدي، من قبيلة زُبيد وكان على رأس قبيلته، وثبت على إسلامه حين ارتد قومه، وكان مسلماً مهاجراً، ولَمَّا وصل خبر موت النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى بني زبيد، تكلم عمرو بن معد يكرب ودعا إلى الردة، عند ذلك غضِب عمرو بن الفحيل وعمرو بن الحجاج وكان لهما فضل في رياستهما، فقال ابن الفحيل : يا معشر زبيد إن كنتم دخلتم في هذا الدين راغبين فحاموا عليه، أو خائفين من أهله فتحصنوا به ولا تُظهروا للناس من سرائركم ما يعلم الله فيظهروا عليكم بها . ينظر : الإصابة : 554/4 .

(17)الرقراق : يُقال : ترقرق الشيء : تلألأ أي جاء وذهب، ورقرقتُ الماء فترقرق أي جاء وذهب وكذلك الدمع إذا دار في الحملاق . ينظر : لسان العرب : 124/10 (رقق) .

(18)الرُّزء : المصيبة . ينظر : المصدر نفسه : 86/1 (رزأ) .

(19)الديوان :393 .

(20)مريم/23 .

(21)ينظر : أثر القرآن في الشعر العربي الحديث : 127 .

(22)بُجير بن بَجرة الطائي، وله في قتال أهل الردة آثار وأشعار كثيرة، وشهد غزوة دومة الجندل مع خالد بن الوليد، وشهد القادسية واستشهد فيها، وأتت عليه تسعون سنة ما تحركت له سنٌ ولا ضرس ببركة دعاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) له . ينظر : الوافي بالوفيات : 49/10 . 50 .

(23)الفَلّ : القوم المنهزمون . ينظر : لسان العرب : 530/11 (فلل) .

(24)الديوان : 48 .

(25)بُزاخَة : بالضم، ماء لبني أسد كانت فيه الوقعة العظيمة بين خالد بن الوليد وبني أسد الذين ارتدوا مع طليحة بن خويلد في زمن أبي بكر . ينظر : معجم البلدان : 408/1 .

(26)الفجر/13 .

(27)القمر/7 .

(28)ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : 239/9 .

(29)الديوان : 63 .

(30)الأنفال : 60 .

(31)ينظر : تفسير الكشاف : 418، تفسير القرآن العظيم : 80/8 .

(32)الأنفال/46 .

(33)آل عمران/173 .

(34)ثور بن مالك الكندي، قديم العهد في الإسلام كان في عصر النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وصحب معاذ بن جبل، وحين بَلغهُ خبر وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أستخلفه معاذ على كندة، وعندما عزموا على الردة قام فيهم يحثهم على الثبات بكلام فصيح حسن، فلم يتقبلوا منه، فأخذ يُنشد أبياتاً يعبر عن حزنه منها التي ذكرناها في المتن . ينظر : الإصابة : 533/1، منح المدح : 61 .

(35)الديوان : 401 .

(36)البقرة/216 .

(37)ينظر : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : 522/1 .

(38)راغية : من رغا البعير، والناقة ترغو رُغاءً : أي صوتت وضجت . ينظر : لسان العرب : 329/14، المعجم الوسيط : 358 (رغا) .

(39)الديوان : 234 .

(40)التوبة/40 .

(41)ينظر : تفسير الطبري : 110/4 .

(42)آل عمران/90 .

(43)خُفاف بن عمير بن الحرث بن الشريد السُلَمي، وأمه نُدبة وإليها يُنسب وكان أسود حالكاً وهو ابن عم الخنساء الشاعرة، ويكنى أبا خُراشة، صحابي مخضرم شهد فتح مكة مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعه لواء بني سليم، وشهد حنيناً والطائف أيضاً وهو ممن ثبت على إسلامه زمن الردة، وعاش إلى زمن عمر . ينظر : الشعر والشعراء : 329/1، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : 15/4 .

(44)صَرَاة : يُطلق على الأماكن المرتفعة التي لا يعلوها الماء (صَرَار) وهو اسم جبل بنجد . ينظر : معجم البلدان : 398/3 .

(45)شمام : جبل لباهلة في نجد . ينظر : المصدر نفسه : 361/3 .

(46)الديوان : 484 .

(47)الفُجاءة، واسمه إياس بن عبد الله بن عبد ياليل بن عميرة بن خفاف من بني سليم، وكان أبو بكر قد حرقه في النار بالبقيع وسبب ذلك أنَه ذهب إليه وزعم أنه أسلم وطلب جيشاً وسلاحاً ليقاتل به المرتدين، فلما سار جعل لا يمر بمسلم ولا مرتد إلا وقتله وأخذ ماله، فلما سمع أبو بكر بذلك بعث وراءه جيشاً فرده وجعل يداه إلى قفاه وألقي في النار . ينظر : البداية والنهاية : 319/6 .

(48)الكافرون/4 .

(49)مكنف بن زيد الخيل الطائي، وهو أكبر ولد أبيه وبه كان يُكنى أسلم هو وأخوه حُريث وصحبا النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وشهدا قتال الردة مع خالد بن الوليد . ينظر : المعارف : 333، الشعر والشعراء : 278/1 .

(50)الديوان : 33 .

(51)الأحزاب/13 .

(52)المنذر بن النعمان بن المنذر الرابع بن المنذر بن امرؤ القيس اللخمي، آخر ملوك المناذرة في الحيرة . ينظر : الاعلام : 295/7 .

(53)الموقور : من الوقر وهو الحمل الثقيل . ينظر : لسان العرب : 289/5 .

(54)الديوان : 198 .

(55)ينظر : لسان العرب : 108/5 .

(56)القصص/88 .

(57)فاطر/13 .

(58)مُرَّان ابن ذي عُمير بن أبي إمران الهمداني، وأنّه كان من ملوك همدان وأسلم فيمن أسلم منهم، وأنَّ أهل اليمن عندما سمعوا بوفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تكلم سفهاء همدان بما كرهه حلماؤهم، ثم قام مُرَّان فقال : يا معشر همدان إنَّكم لم تُقاتلوا رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، ولم يُقاتلكم فأصبتم بذلك الحظ ولبستم به العافية ولم يعمّكم بلعنةٍ تفضح أوائلكم وتقطع دابركم وقد سبقكم قومٌ إلى الإسلام وسبقتم قوماً ؛ فإن تمسكتم لحقتم مَن سبقكم وإن أضعتموه لحقكم مَن سبقتموه، فأجابوه إلى ما أحبَّ فأخذ يرثي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) . ينظر : الإصابة : 223،222/6 .

(59)الفتيل : يُقال : فَتَل الشيء يفتله فتلاً، والفتيل : السَّحاة في شَقِّ النواة، وما أغنى عنه فتيلاً . ينظر : لسان العرب : 514/11.

(60)الديوان :423 .

(61)النساء/49 .

(62)خويلد بن ربيعة العقيلي، هو أبو حرب، ومن الذين ثبتوا على الإسلام وقام في قومه بني عامر يأمرهم بالثبات على الإسلام . ينظر : الاصابة : 305/2 .

(63)الضَّنك : هو الضِّيق من كلِّ شيء، ومعيشة ضنك بمعنى ضيقة، ويقال : أنَّ هذه المعيشة الضِّنك في نار جهنم . ينظر : لسان العرب : 462/10 .

(64)الديوان : 238 .

(65)طه/124 .

(66)ينظر : تفسير الطبري : 230/5 .

(67)زياد بن حنظلة التميمي، عمل مع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وشهد حروب الردة وأبلى فيها بلاءً حسناً، وكان مُنقطعاً إلى علي (عليه السلام) وشهد معه المشاهد كُلِّها . ينظر : أسد الغابة : 419 .

(68)الغزى : من غزا الشيء غزواً، والغزو السير إلى قتال العدو، ورجل غازٍ من قوم غُزى . ينظر : لسان العرب : 123/15 .

(69)الوفر : من المال والمتاع الكثير الواسع . ينظر : المصدر نفسه : 5/ 287 .

(70)الديوان : 245 .

(71)الشعراء/94 .

(72)ينظر : تفسير الكشاف : 764 .

(73)لم أعثر على ترجمته .

(74)مُوبق : مَفْعِل، من وبق وبقاً، وأوبقه : أهلكه . ينظر : لسان العرب : 370/10 (وبق) .

(75)الديوان : 382 .

(76)الكهف/52 .

المصادر والمراجع

ـ أثر القرآن في الشعر العربي الحديث : الدكتور شلتاغ عبود شرّاد، دار المعرفة، دمشق، ط1، 1408هـ . 1987م .

ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب : أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل . بيروت، ط1، 1412هـ . 1992م .

ـ أُسد الغابة في معرفة الصحابة : عز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير، دار ابن حزم، بيروت . لبنان، ط1، 1433هـ . 2012م .

ـ الإصابة في تمييز الصحابة : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط1، 1415هـ . 1995م .

ـ الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت . لبنان، ط15، 2002م .

ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الناشر مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، مطبعة سليمان زاده، إيران . قم، ط1 .

ـ أنوار الربيع في أنواع البديع : السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني (ت 1120هـ)، حققه وترجم لشعرائه شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان . النجف الأشرف، ط1، 1388هـ . 1968م .

ـ البداية والنهاية : ابن كثير الدمشقي (ت 774هـ)،مكتبة المعارف، بيروت، ط6، 1409هـ . 1988م .

ـ تفسير الطبري من كِتَابهِ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، هذَّبه وحققه الدكتور بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة . بيروت، ط1، 1415هـ . 1994م .

ـ تفسير القرآن العظيم : أبي الفِدَاء عَمر بن كثير القرشي الدِّمشقي (ت 774هـ)، تحقيق سامي بن محمد السَّلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط1، 1418هـ . 1997م، ط2، 1420هـ . 1999م .

ـ تفسير الكشاف : أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، اعتنى به وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه خليل مأمون شَيحا، دار المعرفة، بيروت . لبنان، ط3، 1430هـ . 2009م .

ـ خزانة الأدب وغاية الأرب : تقي الدين أبي بكر علي المعروف بابن حجة الحَموي (ت 837هـ)، شرح عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت ـ لبنان، ط1، 1987م .

ـ خزانة الأدب ولب لُباب لسان العرب : عبد القادر بن عمر البغدادي (ت 1093هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الناشر مكتبة الناجي بالقاهرة، مطبعة المدني، ط4، 1418هـ ـ 1997م .

ـ ديوان حروب الرِّدَّة : جمعه وحققه وشرح غريبه وعلَّق عليه، الدكتور محمود عبد الله أبو الخير، جُهينة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2004م .

ـ الشعر والشعراء : ابن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار الحديث القاهرة .

ـ الكافي في البلاغة (البيان والبديع والمعاني) : أيمن أمين عبد الغني، دار التوفيقية للتراث، القاهرة .

ـ لسان العرب : جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت .

ـ مجمع البيان في تفسير القرآن : أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار المرتضى، بيروت ـ لبنان، ط1، 1427هـ ـ 2006م .

ـ المعارف : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ)، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف، ط4 .

ـ معجم البلدان : الشيخ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر ـ بيروت، 1397هـ ـ 1977م .

ـ المعجم الوسيط : إبراهيم أنيس، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ ـ 2004م .

ـ مِنَحُ المِدَح أو شعراء الصحابة ممن مدح رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أو رثاه : لابن سَيد الناس، تحقيق عَفت وصال حمزة، دار الفكر، دمشق ـ سورية، ط1، 1407هـ ـ 1987م .

ـ الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط1 المحققة، 1417هـ ـ 1997م .

ـ الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت 468هـ)، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم ـ دمشق، الدار الشامية ـ بيروت، ط1، 1415هـ ـ 1995م .

ـ الوافي بالوفيات : صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (ت 764هـ)، تحقيق أحمد الأرنأووط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط1، 1420هـ ـ 2000م .